●● مقـــدمة ●●

كاد قلبى ينخلع من ضلوعى ، بينما تبدو مدينة نيويورك من نافذة الطائرة ، كجزيرة صغيرة تحوطها المياه من كل ناحية . . الشمس مالت للمغيب فانعكست أشعتها من فوق قمم ناطحات السحاب البنية مباشرة، ومن خلال عينى المتسعتين على آخرهما ، إلى أعمق أعماق نفسى، فزلزلتنى وهزت اتزان روحى هزا عنيفا . .

اليوم كان أول مايو ١٩٩٢ . هو ذا الحلم البعيد المنال والذى عشت من عمرى ثلاثين عاماً أحلم به ، يتحقق الآن . وها هى ذى ، المدينة الحلم من الدولة الحلم من القارة الحلم ، تبدو تحت مقعدى قريبة منى جداً . . لقد كانت المعانى أكبر منى ومن طاقتى على النطق أو الدهشة .

الرحلة من القاهرة إلى نيويورك استغرقت ١٢ ساعة ، مرورا بأثينا ، إذ كانت تقلنى إحدى طائرات الجامبو العملاقة التابعة لشركة أوليمبيك . وطوال الرحلة لم يغمض لى جفن من فرط الإثارة التى كانت تغمرنى . . لم تبهرنى «أثينا» ، تلك التى بدت لى من قريب أثناء هبوط الطائرة فى مطارها الصغير والقريب جداً من العاصمة اليونانية . . ورغم

عبورنا فوق «فيينا» ، ورغم أنها بدت لى واضحة المعالم ، إلا أنها لم تثر فى نفسى أكثر من مجرد ذكريات بعيدة . . فقد حجبت نفسى عن الانفعال بأى شىء انتظاراً للحظة التاريخية الكبرى . . لحظة أن أرى وألمس وأدوس الأرض الأمريكية . هذا الحلم الذى فاق عندى فى وقعه ، حلم الإنسان بالسير فوق القمر .

جعلت أقطع الوقت بالذكريات والفراق ولحظات ما قبل الفراق . . وللحظة ، اضطربت وخالجنى شعور بالوحشة عندما نظرت تحتى فلم أجد إلا زرقة المحيط الأطلنطى تقطعها بعض الخطوط البيضاء التى تمثل قمم الأمواج الهائجة ، وإلى جوارى ومن فوقى لم تكن إلا زرقة السماء التى لم تقطعها إلا بعض السحب البيضاء . . . وهكذا اتصلت زرقة السماء بالماء ، فأحسست بالتيه فى فراغ لا متناه ، وشعرت بالشوق الشديد إلى أرضى وقريتى وأمى وصورة والدى رحمه الله .

مقصدى الظاهر من رحلتى ، هو التدريب على جراحات التجميل فى المستشفى الجامعى بـ «دالاس» . . وكنت قد حصلت على دعوة من الدكتور «جيفرى» أستاذ جراحة تجميل الوجنتين والوجه ، وكان زميل دراسة للدكتور مأمون اسماعيل الأستاذ المساعد بكلية طب قصر العينى وأحد المشرفين على رسالتى فى الماجستير .

أما مقصدى الحقيقى ، فكان رؤية أمريكا رأى العين ، بعدما قرأت عنها ألف كتاب وكتاب ، وتكونت لها فى خيالى ألف صورة وصورة .

الحصول على فيزة أمريكا فى غاية الصعوبة والتعقيد ، ومن خلف

ساتر زجاجى يتفحصك القنصل من قمة رأسك إلى أخمص قدميك . وعن طريق التليفون (على الرغم من أن المسافة الفاصلة لا تزيد على ٣٠ سم) تنهال عليك الأسئلة كما لو كنت تطلب يد الأميرة «قطر الندى» . . وكل إجابة يجب أن تكون مدعمة بالوثائق . هم يريدون أن يتأكدوا أنك عائد لبلادك لأن وضعك فيها أفضل بكثير من أن تبدأ عملاً فى أمريكا . . فأنت إما ثرى صاحب رصيد بنكى كبير . . أو رجل أعمال أو موظف مرموق أو فى مهمة رسمية أو مدعو من قبل مؤسسة أو شخص ذى حيثية .

فإذا حصلت على فيزة أمريكا ، فأنت تستطيع أن تحصل على أى فيزة أخرى لأى مكان فى العالم دون مستندات . .

لم يكن قد مضى على عملى فى جريدة «العالم اليوم» أكثر من عام واحد . . . حين ذهبت إلى الأستاذ والأخ محمد عثمان ، وأخبرته بأنى سأسافر إلى الولايات المتحدة . . فانفرجت أساريره : ـ « نريد منك أعمالاً ضخمة وكبيرة وكثيرة . . سوف تجد الموضوعات حولك بوفرة . . إنها فرصة نادرة يجب عليك أن تستغلها جيداً . . لا أريد منك مذكرات أو انطباعات ولكنى أريد أشياء محددة المعالم . . مثل كتاب قرأته ، أو فيلم شاهدته ، أو مسرحية دخلتها . . . أو معرض زرته » . .

أفقت من شطحاتى على صوت كابتن الطائرة يطالبنا بربط الأحزمة استعداداً للهبوط فى مطار «جون . اف . كينيدى» (. . يا حلاوة يا ولاد . . أخيراً مطار كينيدى . . أكبر مطار فى العالم !!) ويخبرنا أن الوقت

حسب التوقيت المحلى لمدينة نيويورك هو السابعة مساء وبفارق ٧ ساعات عن القاهرة وأن درجة الحرارة ٢٣°م (كانت فى القاهرة ٣٤°م) . . ويطلب من الركاب القاصدين مونتريال (بكندا) البقاء على متن الطائرة، فى حين سنغادرها نحن (بتوع نيويورك) . .

منذ غادرت باب الطائرة وعقلى متقد ،وقلبى متوهج، وعينى باحثة نهمة، ويدى طائشة تتحسس وتتلمس كل الأشياء، بينما أضحك فى نفسى من نفسى المفرطة فى التوقعات والتساؤلات .

أول من لقينى هم الزنوج . . وتذكرت على الفور ما قرأته عن عقدهم ومشكلاتهم وتذكرت مسلسل «جذور» الشهير لـ « أليكس هيلى» . . ثم أشارت لى إحداهن بالاتجاه يمينا إن كنت قاصداً نيويورك أو يساراً إن كنت متجهاً إلى «سان فرانسيسكو» . . واتجهت يميناً إلى حيث قاعة فحص الجوازات . . ويالهول ما رأيت . . صالة كبيرة جداً تجمع بها حوالى ألف راكب فى وقت واحد ، يخدمهم حوالى ١٠ ضباط . . وبعد نصف ساعة وجدتنى أمام أحدهم . الذى أعاد على الأسئلة التى سئلتها فى القاهرة من قبل وكان يريد أن يعرف تحديداً هل من حقى أن أعمل عملا مقننا بأجر فى المستشفى الذى سأتدرب فيه أم لا ؟ ، فلما نفيت له ذلك . سألنى إن كنت قد أديت امتحان المعادلة الأمريكية أم لا ؟ فنفيت له ذلك أيضاً . وأرضته إجاباتى وختم لى بإقامة ثلاثة شهور قابلة للتجديد وللخروج والعودة عدة مرات . وفى لحظات وجدتنى فى الصالة الخارجية للمطار ومنها للشارع . . وقبل أن أغادر المطار قررت أن أتخلص من أثقالى ، بحفظها فى الأمانات ، وأخذت

أسأل السود والبيض ، فلم يجبنى أحد إلا بالقول : « فتح عينيك جيداً وخلى بالك من شنطك أحسن تتسرق فى ثانية» . . وأدركت أنه لا توجد أمانات ولكن «قلة أمانات» . . ثم فكرت فى أن أستدل من الاستعلامات على عنوان بيت شباب أو فندق رخيص . . وساعتها أيقنت مما تشككت فيه وهو أننا نتكلم لغتين مختلفتين . . فأنا لا أفهمهم ولا هم يفهموننى . . إنهم ينطقون الألفاظ من داخل حلوقهم ، بينما أنطقها أنا وبنى جلدتى من بين الشفايف . . وهم يستعملون ألفاظاً دارجة ، وتركيبات لغوية أمريكية جداً مختلفة تماماً عما درسه لنا الأستاذ : حجازى ، مدرس الإنجليزية .

●● إن أكره ما أكرهه هو أن أزور مدينة لأول مرة وقت الغروب ، إذ أجدنى مضطراً لقبول أى مكان يؤوينى وبأى سعر وغالباً ما يكون غالياً . . ولكن ، وقبل أن تنهار مقاومتى جاء الفرج . . إذ تحولت صالة الوصول وبقدرة قادر ، وفى لحظة إلى جزء من مطار القاهرة . . لقد وصلت منذ دقائق طائرة مصر للطيران . . وهاهم القادمون والمستقبلون قد ملأوا المكان .

كان أهم شىء عندى فى ذلك الحين هو العثور على مكان رخيص نسبياً أبيت فيه ، إذ أنه بعد ساعة سوف يحل الظلام وسأكون مضطراً للقبول بأى شىء .

وفكرت أن أستعين بخبرة المصريين المستقبلين ، فى المطار . . ولحسن الحظ ، فقد تعرفت إلى شاب أسمر هادىء فى العقد الرابع من العمر اسمه محمد رشاد (وهو غير الأستاذ «محمد رشاد» الناشر) وعرفت منه

أنه مهندس مدنى، وأنه قدم لتوه من القاهرة، وينتظر أخاه المقيم بنيويورك، والذى من المفترض أن يكون فى استقباله . . وقال لى إن أخاه هذا سوف يفيدنى كثيراً . وطال انتظارنا حتى مللنا ، فقرر المهندس محمد الذهاب مباشرة إلى شقة أخيه فى «برونكس» ، وأنا معه . . وحملنا متاعنا وخرجنا من المطار إلى محطة الأتوبيس المجانى ، حيث أقلنا إلى محطة القطار . . بدأت أستوعب الأشياء تدريجيا ، فالاتوبيس ضخم جداً ، حديث جداً لايصدر صوتاً ولا دخاناً، ويجرى بنا فوق بساط أسفلتى عريض جداً وسط مروج كثيفة الخضرة . . أما البوابات التى كنا نمر عليها فكانت تفتح بطريقة أتوماتيكية . . أما محطة القطار (الذى هو نفسه مترو الأنفاق)، فهى تفتقر إلى الذوق والجمال اللذين نجدهما فى محطات أوروبا وأيضاً فى القاهرة . . فكل شىء فيها حديد فى حديد ولا مانع من وجود بعض القمامة هنا أو هناك .

كان ذلك وقت المغرب تماماً ، ولم يكن فى عربة القطار سوانا وخمسة من الشباب الزنوج فى العشرينات من العمر ، يحملون «كاسيت» كبيراً يصرخ بأغنية زنجية سريعة الإيقاع، ويتمايلون معها برؤوسهم وجذوعهم للأمام . . وفجأة ولا أدرى لماذا ؟ . . تحلقوا حولنا وهم يتصايحون ونظر أحدهم فى وجهى وصرخ :

« No Justice, No Peace » أى « لا عدل ، لا سلام »، وانتابنى الخوف والذعر، ولم أنظر ناحية المهندس محمد ـ الجالس إلى جوارى ـ حتى لايلاحظ قلقى . . ولم ينقذنا إلا أن باب القطار قد فتح فجأة ـ فقد وصل إلى محطة ما ـ وصار معنا ركاب آخرون . . «حذار أن تركب

عربات القطار الأولى أو الأخيرة . . اركب فى الأواسط» تلك كانت النصيحة الأمنية الثانية فى أقل من ساعة . . بعد ذلك أدركت أن هذا التوتر سببه ، تلك الثورة السوداء التى اشتعلت فى لوس انجلوس فى ذلك الوقت (مايو ١٩٩٢) ، ضد البوليس . إذ تسبب أحد الضباط البيض فى وفاة أحد المسجونين السود ، فقبض على هذا الضابط وقدم للمحاكمة التى حكمت عليه بالرفت من الوظيفة فقط . . وهنا ثار السود ثورة عارمة واندفعوا يحطمون كل شىء فى «لوس أنجلوس» الجميلة . . هذا الحدث أتى مباشرة بعد حادثة أخرى ، مهدت النفوس لهذا التوتر . . ففى أحد المحلات الكبرى (جروسارى)، وبينما كانت الأم منشغلة فى تفحص البضائع ، مدت الطفلة السوداء يدها عابثة باللعب والأوانى الزجاجية المرصوصة ، فانهارت كلها على الأرض وأحدثت دويا، فخافت الطفلة وأسرعت تجرى بعيداً ، وشاهدتها السيدة الكورية صاحبة المحل فحاولت إيقافها بجذبها من الخلف ، فسقطت الفتاة على الأرض فوق شظية من الزجاج المتناثر ، وحدث أن توفيت الطفلة بعد أسبوع من رقادها فى المستشفى . . هذان الحادثان أشعلا النار الكامنة تحت الرماد ، فهبت قوية ، سوداء بلون أصحابها ، وأتت على الأخضر واليابس فى «لوس أنجلوس» وتركت المناطق الأخرى الجنوبية عرضة للانفجار فى أى لحظة . .

المسافة بين المطار وبرونكس استغرقت حوالى ساعة ـ مر فيها القطار أسفل جزيرة مانهاتن حوالى نصف ساعة حيث زادت قليلاً حركة الركاب . الوقت كان ليلاً عندما وصلنا إلى شقة أخيه المهندس أحمد

الذى كان يدرس هندسة الكومبيوتر فى جامعة نيويورك ـ شقته كانت من حجرتين فقط ومطبخ وحمام ، ولا توجد صالة ، وإيجارها ٦٠٠ دولار شهريا . .

أما المبنى الذى كانت تقع فيه تلك الشقة فكان يتكون من ١٠ طوابق فى كل طابق ١٢ شقة ، يخدمهم جميعاً أسانسير واحد عتيق وبطىء ، أما لونه من الخارج فقد ترك بلون الطوب الأحمر فقط ، مثله مثل أغلب المبانى فى أحياء نيويورك . . كنت منهكا تماماً فأغمضت عينى بعدما وعدت بجولة فى المدينة فى الصباح .

●● كان صباحاً مشرقاً جميلاً حين بدأنا جولتنا فى نيويورك فى سيارة المهندس أحمد الفارهة « الأوتوماتيك » قال لنا أنه اشتراها مستعملة ولكن بحالة جيدة بمبلغ ١٥٠٠ دولار (ألف وخمسمائة دولار أمريكى) . . «برونكس» حيث نقيم ، يربطها بجزيرة مانهاتن عدة كبارى . . وفوق أحدها مررنا ، تذكرت كبارى القاهرة ذات الفواصل الحديدية البارزة المدمرة . . انحدرنا إلى طريق سريع يحيط بالجزيرة . . الطريق كان ينقسم إلى ست حارات فى الاتجاه الذاهب ، ومثلها فى الآيب ، وعلى يميننا كان نهر «هدسون» ومن بعيد ، على الضفة الأخرى ، لاحت مدينة «جيرسى » « Jersy City » عاصمة ولاية «نيوجرسى» أما على اليسار فكانت مجموعة من المروج الخضراء والحدائق والغابات الصناعية . . شعرت بالدوار والفرحة والانبهار معا . . فكل شىء تماما كما قرأناه فى الكتب . . الاتساع ، الضخامة ، الفخامة ، والإتقان . . وهذه الأخيرة وهى الـ « Perfection » ، هى عقدتهم ، فهم لايقبلون

بأنصاف الحلول، ولا يقبلون التسويف، ولا يرضون بأقل من ١٠٠٪.
فالزبون مثلاً يأخذ الملابس أو الأجهزة الكهربائية أو الأدوات المنزلية، يستعملها فإذا وجد فيها عيبا تافها ، فإنه يعيدها إلى البائع ويستبدلها بغيرها ـ إذا كان المقصود هو التغيير فقط ـ أو يأخذ أمواله كاملة إذا كان بها خطأ ما . . فقط يظهر إيصال الشراء ، وهذا مهم جداً . .
وقدحدث بالنسبة لى أن أعدت حذاء بعد شهر من استعماله لاستبداله بلون آخر . . وأعدت شواية لحوم ، كنت ومجموعة من الأصدقاء قد أعددناها للـ «بيكنيك» . . ثم اكتشفت أننا أينما ذهبنا ، نجد شوايات متناثرة هنا وهناك جهزتها البلدية لراحة السادة الرحالة، ولم يعد هناك داع لاستعمال شوايتى « الكبيرة الحجم» ، لدرجة يستحيل معها حملها للقاهرة ، لذلك قررت ردها للبائع ـ وهومركز تجارى كبير فى نيوجيرسى واسمه C.H. Martin ـ وأظهرت لهم إيصال الشراء ، فطلبوا لى المدير وكان بولندى الأصل ، فظاً . . . تحدث معى بغلظة . . ورفض قبول الشواية ثانية ، لأنها تهببت !! فقلت له أن يبقى جزءا من الفلوس مقابل هذا الهباب !! فرفض . . فأفهمته أننى سأستبدلها بأجهزة أخرى ، فرفض أيضاً . . (كان ثمن الشواية ١٢٠ دولارا) . . فثرت وبلغ بى الغضب مداه . . وخصوصا عندما شعرت أن ذلك ليس هو التصرف الأمريكى الطبيعى . . وانما هو تصرف واحد شيوعى فقير من بولندا تجاه واحد من دول العالم الثالث !! . .

لذلك اندفعت إلى التليفون الموضوع أمامه وطلبت البوليس . . بينما هو يحملق فىّ . . بكل برود . . وخلال خمس دقائق كانت هناك ثلاث

سيارات شيفورولیه ضخمة زرقاء فى بيضاء ، تصطف أمام المبنى ، ونزل منها العساكر والضباط فى خفة ورشاقة كأنهم ذاهبون لموقعة حربية (تماماً كما نراهم فى المسلسلات التليفزيونية) فحالتى وما شابهها هى شغلهم الشاغل . . والخناقات والمشكلات البسيطة هى «أكل عيشهم» . . أما حوادث القتل والسرقة والاختطاف والاغتصاب . . فلا يحركون فيها ساكنا ، ولا تصدق أفلام المغامرات البوليسية ، فكلها «أمريكانى»!! المهم أنهم استمعوا إلى وتفحصوا الإيصال ، واستمعوا إلى المدير ، واقتنعوا برأيى فى حرية التبديل خلال شهر ، واقتنعوا برأى المدير فى حرية رفض التبديل ، إذا ثبت أن الآلة استعملت . . ثم اقتنعوا برأيى فى أن الآلات قد صنعت للاستعمال . . وهكذا ، شعرت أنهم مستعدون للاقتناع بأى رأى لإرضاء جميع الأطراف بالقول، المهم أن الموضوع ، كما نقول ، « كبر فى دماغى » . . و«حقى . . ما أفرطش فيه » ولما تأكدوا من أن « دماغى ناشفة» . . أعطانى قائدهم عنوان وتليفون مكتب شكاوى الصناعات والتجارة ، وأخبرنى أنه يكفينى الاتصال بهم وهم سيرسلون مندوبهم إلى منزلى لحل المشكلة . . وانصرفوا فى استعراض عسكرى جميل !! . . (فهمت الآن ، لماذا طالت قضية فلسطين فى حضور الأمريكان ؟!) ولا أدرى لماذا تراجع المدير عن موقفه فورا وبعد انصرافهم ، وقرر ، ليس فقط التبديل ببضائع أخرى ، بل رد لى فلوسى كاملة غير منقوصة وفوقهم بوسة واعتذار مرض !!

وصلت مع المهندس أحمد وأخيه محمد إلى قلب مانهاتن . . إلى الأفينيو الخامس 5th Avenue . . والجزيرة كلها مقسمة بالمسطرة والقلم

إلى ١٠ شوارع عريضة بالطول وتسمى « أفينيو» . . وحوالى ٣٠٠ شارع بالعرض وهى شوارع أقل فى الاتساع من الأفينيو وتسمى «ستريت ـ Street» وهى مسماة بأرقامها المجردة إلا بعض الاستثناءات وأشهر الشوارع هو الـ «وول ستريت» Wall Street وهو شارع المال ورجال الأعمال وبه مركز التجارة العالمى « World Trade Centre » وهذا المركز عبارة عن برجين توائم « Twin Towers» وقد فاقا فى ارتفاعهما عمارة «الإمبايرستيت» وهذا المركز هو الذى حدث فيه انفجار عام ١٩٩٣ الشهير والذى قيد ضد المتطرفين الإسلاميين . . ومحطة مترو الأنفاق فى هذا الشارع هى مدينة تجارية كاملة تحت الأرض ، هائلة الاتساع ، دائمة الحركة ، تنتشر بها الكازينوهات والمطاعم والمحلات التجارية والمكتبات تتقاطع فيها القطارات القادمة من نيوجيرسى وتسمى « Path Train» مع مترو أنفاق « نيويورك » ويسمى « Sub Way » وأنت فيها لا تتحرك لأعلى أو وأسفل إطلاقاً فشبكة ضخمة من السلالم المتحركة تكفيك هذا العناء . .

أما شارع الـ «٤٢» . . فهو أيضاً من الشوارع المشهورة ولكن بسوء سمعته . . فبطول هذا الشارع تجد محلات الجنس التى تبيع شرائط الفيديو والمحلات والأدوات الكهربائية المستخدمة فى تلك الأغراض . . وكذلك تنتشر دور السينما الإباحية بما فيها سينما الشواذ . . كذلك محلات العروض الحية « Live show » وهى تعج بالفتيات العرايا اللائى يتفنن فى إغرائك لممارسة الرذيلة ، . . ليس حباً فيك ولكن حباً فى الدولار .

أما شارع «برودواى» فهو الشارع الأشهر فى دنيا الفن والثقافة ، فبين السينما والأخرى تجد مسرحاً أو متحفاً أو معرضاً أو مجمعاً للفنون يضم كل ما يمت للثقافة بصلة . . والشارع هادىء نهاراً . . صاخب هادر ليلاً . . وكأن المدينة كلها قد سكبت فيه . . وهو يبدأ من ميدان «تايمز سكوير» « Times Square » وهذا الميدان يتحول فى الليل إلى «بحر الأنوار» . فهو بحر صاخب من الأنوار المتلألئة الراقصة . . وتكاد تقسم أن لوحات الإعلانات الضوئية هنا هى أكبر إعلانات سوف تراها فى حياتك على الإطلاق . . . إبهار ما بعده إبهار . . وعلى نواصى شوارع هذا الميدان تجد واحداً قد اعتلى منصدة ومعه ميكروفون وحوله بعض الـ «سميعة» . . . يبشرهم بدين جديد قد وصله توا . . . أو يهاجم استخدام الذرة فى الحياة المدنية . . أو يهاجم العرب والمسلمين . . أو يهاجم اليهود . . وواحد منهم كان يشرح القضية الفلسطينية . . هذه الخطب العصماء من الخطباء المفوهين . . تستمع إليها كثيراً بطول شارع البرودواى أو فى المنتزهات والحدائق وخاصة الـ سنترال بارك « Central Park» وهى حديقة كبيرة مسورة، تتوسط مانهاتن وتمتد من شارع الـ «٧٢» إلى شارع «١٤٠» ـ أى أن طولها يساوى مجموع عروض ٧٠ شارعا وعرضها حوالى ٤ أفينيوهات (حوالى ٨كم × ٢ كم) تجرى من تحتها أنفاق كبيرة تصل الشوارع ببعضها . . وتجد فيها كل ما تتخيله من نبات وحيوان على وجه البسيطة ، بالإضافة إلى مساحات هائلة من المتنزهات والملاعب وتسكن «مادونا» . . «قنبلة الغناء والإغراء» فى شقة مطلة على السنترال بارك وكذلك «مايكل جاكسون» ومعظم الفنانين

والأثرياء ، ويبلغ ثمن الشقة ١٠ ملايين دولار أمريكى فقط لاغير . . .

وصلنا الأفينيو الخامس . . الشهير جداً . . فاقترحت على الأخوين أن أتركهما للتمشية فيه راجلاً . . على أن أعود وحدى قبل المساء . .

فى نيويورك لن تجد مشكلة على الإطلاق فى الوصول لأى عنوان . . . فقط تناول خريطة مجانية من أى مركز استعلامات (كشك) تقابله وسوف تعرف كل شىء عن المدينة مثل القاطن فيها منذ عشر سنوات . . أما التليفونات فعلى كل ناصية وبجوارها صندوق للبريد كبير وصندوق صغير للجرائد والمجلات المجانية (معظمها للتعارف بقصد الحب أو الزواج أو التسلية)

وصندوق آخر للجرائد بالثمن . . ورقم التليفون الذى يبدأ بـ « 1- 000 » هو رقم مجانى . . فتجد بعض المصالح أو الشركات أو البنوك أو . . . أو . . . عندما تعلن فى التليفزيون تعطيك مثل هذا الرقم ، الذى يمكنك الاتصال به من أى مكان فى الشارع دون أن تضع أية عملة معدنية . . حدث معى أن اتصلت برقم مثل هذا ، خاص بعلاج الصلع الساعة ١٢ ليلاً فكان على الطرف الآخر سيدة رقيقة ، سألتنى الاسم والعنوان والتليفون فقط . . ونسيت الموضوع حتى فوجئت بعد أسبوع بمظروف ضخم يحوى كمية هائلة من المجلات والأوراق بها كل المعلومات التى أريدها ويريدها الجيران . . وإجراءات تركيب التليفون فى شقتك هى كالتالى : تتصل ليلاً بعدما تعود سيادتك من عملك . . بمصلحة التليفونات وتعطيهم عنوانك ورقم بطاقتك Sio-cial Seccurity Number فتطلب منك الموظفة أن تتفضل بسداد ٩٠

دولاراً فى الصباح لحسابهم . . . فإذا فعلت فإنك سوف تتحدث فى تليفونك الخاص الجديد بدءاً من الساعة الثانية ظهراً . .

وكل شىء فى أمريكا يمكن أن يتم بالتليفون . . حاولت أن أستفسر عن إجراءات تجديد الإقامة ، فطلبت إدارة الهجرة ، فردت على رسالة مسجلة تقول : « إذا كنت تريد أن نتحدث إليك بالانجليزية قل نعم ، وإذا كنت تريد الأسبانية فلا تتحدث إطلاقاً . . صفارة . . . وهكذا تتدرج الرسالة حتى تصل لما تريده أنت بالضبط . . وبعد أن عرفت المطلوب منى . . . جهزت الأوراق وأرسلتها فى مظروف كبير مسجل إلى إدارة الهجرة فى نيويورك . . فردوا على بعد أسبوع ، بالبريد أيضاً ، إننى يجب أن أتقدم إلى إدارة الهجرة فى «نيوجيرسى» . . حيث كنت قد انتقلت للسكنى هناك . . وبالتالى كان الوقت المسموح لى فيه بالتجديد قد انتهى وصارت إقامتى غير شرعية . . فأرسلت رد إدارة نيويورك مرفقاً به باقى الأوراق ومرفقا به خطابا بخط يدى يفيد أنى أخطأت فى توجيه الخطاب الأول فضاع الوقت . . وانتظرت أسبوعاً حتى وصلنى الرد بالتجديد ، إلى التاريخ الذى حددته أنا بالضبط . . كل ذلك بدون أن أذهب لأبعد من مكتب البريد . . الذى سددت فيه أيضاً رسوم التجديد (حوالى ١٥ دولاراً) . .

بدأت أتمشى وحيداً فى الأفينيو الخامس . . لم أكن أصدق نفس . . أنا أتمشى فى نيويورك وأدوس فوق الأرض الأمريكية وأصطدم بالأمريكان . . شعور بالدهشة يلفنى تماماً ويكاد يعزلنى عمن حولى ، فأصطدم بل قل أتخبط فيهم . . بعد ذلك أدركت أنهم يهرولون

مسرعين بينما أنا « ماشى أتمخطر» . . وليس فقدان الوعى هو سبب هذا الارتطام . . الشارع طويل جداً وبالرغم من هذا فأنت تكاد ترى نهايته لأنه كما قلت مرسوما بالمسطرة . . المبانى على الجانبين عالية جداً وحديثة جداً وضخمة جداً ، لكنها بصفة عامة تكاد تخلو من أى لمسة فنية ، اللهم إلا بعض التماثيل الحديثة . . المعدنية غالباً . . التى يضعونها أمام المداخل . . ولكل مبنى ، هول استقبال Main Lobby ـ يضاهى أكبر فندق عندنا . . ونظام أمنى تتولاه شركات خاصة ـ على أعلى مستوى . . ومجموعة كاميرات وشاشات مثبتة فى أرجاء المبنى . . المنظر بصفة عامة . . عبارة عن غابة من أشجار عالية من الأسمنت . . والناس يسيرون فيما بين الجذوع بدأب ونشاط ، كما النمل . . المحلات كبيرة جداً وتحتل مبانى كاملة . . على غرار المراكز التجارية التى انتشرت عندنا ولكن بصورة مبالغ فيها . . وأنت تستطيع أن تقضى يوماً كاملاً فى محل مثل الـ « Macy's » أو الـ « A & S » أو الـ « Wool Worth » أو الـ « Conn-way» ويا سعدك يا هناك لو أنت كنت آخر زبون أو صادفتك ساعة الحظ وأنت داخل المحل أو كان رقمك ألف صحيحة أومليون أومليار . . . حدثت معى ذات مرة أن كنت آخر زبون متواجد فى محل للأجهزة الاليكترونية . . إذ كنت اشترى جهازا للتعرف على نمرة تليفون من يحادثك ، لواحد قريبى طهقان من المعاكسات وكان الجهاز ثمنه (١٥٠ دولاراً) . . فخصموا لى ٥٠ دولاراً . . . والأكازيونات الكبرى تكون بمواعيد ويعلن عنها فى الجرائد مسبقاً وتكون غالباً بمناسبة الأعياد . . وأعيادهم كثيرة واحتفالاتهم ضخمة . . وفى أول أيامى هناك

شاهدت الاحتفالات بذكرى ميلاد دولة إسرائيل . . شوارع كثيرة بطولها كانت مغلقة منذ الصباح الباكر . . ورجال البوليس النيويوركى بأجسامهم الفارعة واقفون على الجانبين على أهبة الاستعداد . . أما الاحتفال الأول فكان استعراضاً فنياً شعبياً يقوم بمعظمه طلبة المدارس من اليهود . . ورغم غيظى الشديد (إذ كانت انتفاضة الحجارة فى الأرض المحتلة على أشدها) إلا أننى لم أستطع أن أمنع نفسى من الاستمتاع بهذه الفنون الراقية التى يؤديها الأطفال والغلمان والشباب . . وهذه الرقصات الجماعية ذات الإيقاعات . . وهذه الأغانى والأهازيج . . وكل تلك الألوان البراقة . . وناهيك عما جاش بالصدر . . إلا أن الاستعراض كان رائعاً . . فكم من الوقت استمر ؟؟ . . فقط من الساعة ٨ صباحاً إلى الساعة ٦ مساء . . بطول وعرض معظم شوارع نيويورك . . أما المشاركون فكانوا يسيرون فى شكل فرق أو قوافل أو محمولين ، وكل فريق يرفع لافتة تحدد هويته . . ولا أعتقد أن عددهم جميعاً يقل عن مائة ألف بحال من الأحوال . . «إنها مدينة اليهود» . . هكذا قالت لى زميلة رومانية بتأفف شديد . . أما ما أحتفظ به من ذكريات هذا الاحتفال ، فهما طاقيتين ، سوداوين ، من بتوع الخاخامات ، كالتى كان يلبسها «مناحم بيجين» فى الكنيسيت . . إذ طيرهما الهواء الشديد وقذف بهما ناحيتى ، فالتقطهما بسرعة حتى يظل صاحباهما مكشوفى الرأس . . «أقل واجب الواحد يؤديه لقضية الشرق الأوسط » . . وأما الاحتفال الثانى الجدير بالذكر ، فكان فى أوائل يوليو (ودائماً فى نفس الموعد كل عام) وهو استعراض أيضاً فى الشوارع . . وشارك فيه عام ١٩٩٢ ، كما

ذكرت الجرائد ، ثمانون ألفاً . . من إيه ؟؟ . . حزر فزر ؟؟ . . من الشواذ جنسياً من الجنسين . . ويا لهول ما ترى . . كل الأحبة اثنين اثنين . . رجلان أو امرأتان . . إما فى سيارة مكشوفة أو فوق دراجة بخارية أو دراجة عادية أو سيراً على الأقدام . . وطبعاً . . الرجال . . لأن هذا عيد . . وأيام مفترجة . . تجدهم قد لطخوا وجوهم بأحمر الشفايف وبودرة الخدود والرموش الصناعية . . والحواجب الرفيعة . . وارتدوا ملابس النساء . . أما المكسوفين منهم «واللى لسه عندهم شوية دم » . . فيرتدون بنطلونات جينز ضيقة تساعد على إبراز الأرداف المتخضمة بصورة مرضية . . وقد فتحوا قمصانهم لكى تظهر شدادات الصدر الحريمى . . فأغلبهم يتعاطى هرمونات أنثوية . . أما النساء الشاذات فيكتفين بالملابس الرجالى والتصايح والغناء الماجن . . ولا مانع طوال الاستعراض من تبادل القبلات كل مع جنسه . . اللافتات تنادى بحق الشواذ فى دخول الجيش وفى الزواج وتبنى الأطفال . . وأخرى تقول : « لا تخجل من ممارساتك السرية . . انضم إلى هذا الحفل . . ولتعلم كل الناس وبمنتهى الثقة والشجاعة أنك شاذ » . ذكرت الجرائد أنه بخلاف الشواذ فعلاً ، فإن ٣٠ ٪ من الشعب الامريكى قد مارس الشذوذ مرة واحدة على الأقل فى حياته (مجلة التايم الامريكية) . . وقرأت قصة مدير بنك ـ فى مجلة « فيلاج فويس» ـ كان يدارى عن ابنته الوحيدة الجامعية أنه شاذ ، حتى علمت هى من أصدقائها فى الجامعة ، فاضطر إلى مصارحتها بالأمر . . يقول إنها صدمت فى بادىء الأمر . . لكن ذلك أفضل من الكذب عليها . .

المهم أنها بمرور الوقت بدأت تستوعب تلك الحقيقة . . ولم يعد هناك مشكلة . . ومن يومها شعر الأب بالراحة النفسية إذ لم يعد يعيش بشخصيتين . . كذلك لم يعد يجد حرجا فى دعوة أصدقائه إلى المنزل فى وجود ابنته . . لا تعليق . .

أثناء تمشيتى فى الأفينيو الخامس وجدت جمهرة على الرصيف ، تماماً كما يحدث فى شارع طلعت حرب فى القاهرة . . ودفعنى الفضول للاستكشاف . . فإذا به «زنجى» قد وضع كرتونة كبيرة وفوقها ٣ علب صغيرة مقلوبة ، وتحت واحدة منها توجد بلية . . وهو يكشف لك فى البداية عن موقع البلية ، ثم يبدأ فى تحريك العلب بسرعة بينما هو يغنى « If You Want, You Can Win »أى «تستطيع أن تربح إذا أردت » ـ ثم يطلب ممن يحب أن يجرب حظه : أن يحدد موضع البلية بعد أن يدفع ١٠٠ دولار ـ فإذا أصاب اللاعب استرد فلوسه وفوقها ١٠٠ دولار أخرى . . تقدم ثلاثة من الجمهور على التوالى . . فكسبوا جميعاً . . وبدون لحظة تردد وبإغراء الكسب السريع وبقناعة تامة أن أمريكا الطيبة توزع الفلوس على الناس فى الشوارع ، دفعت مائة دولار . . ورقة واحدة كالسيف . . وركزت انتباهى على موقع البلية . . ثم أشرت على علبة . . إنها هنا . . وقلب الزنجى العلبة . . فإذا بها فارغة . . وطارت المائة دولار . . وطار معها الزنجى والمتفرجون وتركوا لى الكرتونة والبلية .

ملحوظة : قابلت هذا الزنجى بعدها بأسبوع فى نفس المكان وحوله نفس الأشخاص المحظوظين . . (رفاقه بالطبع) . . وهكذا تلقيت أول صفعة ، مبكراً جداً . .

●● كنت أحمل معى إلى الأمريكان ١٠ لوحات زيتية من إبداعى ، معظمها فرعونى ومحلى . . إيماناً منى بأن أقصر طريق للعالمية يبدأ وينتهى بالمحلية . . وصرت أمنى نفسى بالشهرة المدوية والأموال الطائلة التى ستنهمر على . . وطفت على كل «الجاليريهات» والمعارض الفنية التشكيلية . . فأخبرونى جميعاً أننى «أؤذن فى مالطة» . . فالأمريكان عموماً والنيويوركيون خصوصاً لايقبلون على الفن لمجرد الفن . . فاللوحات عندهم ، أشياء مبهجة تسد فراغات على الحوائط ، وبالتالى فهم يشترون منها الأرخص والأكثر إشراقاً . . (يعنى لايدفعون فى أى لوحة مهما عظم قدرها أكثر من ٥٠ دولاراً) . . أما ما نسمع عنه من أرقام فلكية فهذه للتجارة فقط . . والتجارة شطارة . . فهم لن يدفعوا مثل هذه المبالغ إلا إذا تأكدوا من أن هذه اللوحات ستدر عليهم ربحاً عند إعادة بيعها . . يعنى لابد أن يكون صاحبها مشهورا من الأساس أو نصف مشهور أو مات أو اتجنن أو . . إلخ . . المهم اقترح على البعض الذهاب إلى الـ «سوهو» ـ Soho ـ وهو حى من أحياء نيويورك عند أطراف مانهاتن من ناحية الـ «وول ستريت» . . وذهبت فعلاً يوم أحد ووجدت هناك معرضا مفتوحاً للفنون التشكيلية . . فالفنانون بلحاهم الطويلة وشعورهم المنكوشة وملابسهم الغريبة . . يؤجرون «ستاند» يضعون عليه لوحاتهم وآخرون يمارسون الرسم فى الشارع . . كان هناك حوالى ٣٠٠ رسام . . والناس تطوف بينهم . اللوحات ثمنها ما بين ٥٠ إلى ١٠٠ دولار . . وايجار الـ «ستاند» بالشهر يعنى ٤ أيام أحد فقط بـ ٥٠٠ دولار . . ياه ، كثير ! . . المهم انى تمكنت من الاتفاق مع رسامة

كورية على أن أعرض لوحاتى معها . . فقد كانت لوحاتها قليلة ، مقابل ٢٥ دولاراً . . الحق يقال . . أننى أحـــت بضآلة موهبتى الفنية . . أمام تلك الروائع المتناثرة على الرصيف فى هذا الميدان . . وكما توقعت ، فإن اللوحات الفرعونية فقط هى التى لفتت الانظار لكن أحداً لم يرد أن يدفع أكثر . . وعند الساعة الثانية ظهراً كان الإحباط قد استبد بى فوافقت من فورى على عرض بشراء لوحة «قناع توت عنخ آمون» ولوحة معبد «أبى سمبل» معاً بمبلغ ٨٠ دولاراً . . وجمعت باقى لوحاتى وانصرفت على أن لا أكرر الزيارة . . كان على أن أقضى وقتاً فى «نيويورك» قبل الذهاب إلى «دالاس» . . فالدورة التدريبية ستبدأ بعد شهر ، والدكتور «جيفرى» فى أجازة فى المكسيك . . لذلك قررت البحث عن سكن أقضى فيه تلك الأيام . . ويكفى من الأخوين أحمد ، محمد ما أسديا إلى من جميل لن أنساه . . وسريعاً وجدت حجرة فى بيت يمتلكه مصريان ، الأول اسمه « كمال » وهو طالب فى طب القاهرة متعثر . . ويسافر سنويا للامتحان ، والثانى «يسرى» ويعمل سائق تاكسى ، أما الأول فيعمل جرسونا فى مطعم ، ويتقاضى راتباً قدره ١٤ دولاراً فى الساعة غير البقشيش .

ويسرى كان يعمل سائقاً لتاكسى فى «جورنال سكوير» فى «جيرسى سيتى» حيث كان يقع هذا البيت . . وفى «جورنال سكوير» أيضاً تتزايد أعداد المصريين حتى أنك تسمع العربية بوضوح وخاصة اللهجة المصرية هناك ، ومعظمهم يعملون فى التاكسى أو فى محلات البيتسا أو فى الـ «جروسارى» . . وفى نفس المنطقة أيضاً تجد سوبر ماركت كبيراً

جداً يملكه فلسطيني وهو رخيص نسبياً ويزدحم بالمصريين والمصريات خاصة فى يومى السبت والأحد . وطوال تجوالك فيه تستمع إلى الحكايات والتعليقات والقفشات المصرية التى لاتستطيع أن تتمالك نفسك من الضحك إزاءها . . وكثيراً ما كنت أسألهم عن أرخص الأسعار ، فيدلونى عليها ، وأحياناً تكون فى عدة محلات متفرقة تكون بينها مسافات شاسعة ، فالفاكهة الرخيصة فى سوبر ماركت الـ Fine Fair والجبن الرخيص فى الـ A & P وقد نبهونى إلى ضرورة قراءة قائمة الأسعار الداخلة فى الأوكازيون والتى يضعها كل محل فى مدخله ، وبناء عليه تشترى هذه السلع فقط وتذهب إلى محل آخر ، وهكذا . والمصرى أول ما يذهب لأمريكا يشترى أرخص الموجود ، وبعد سنة يشترى أجود الأرخص وبعد سنتين يشترى أرخص الأجود وبعد ٣ سنوات يشترى أجود الموجود . . وبصفة عامة فالأسعار فى «جيرسى سيتى» أرخص بكثير من نيويورك . . وهى متدرجة ، فالفقير «دقة» يستطيع أن يتغذى جيداً .

وقد علمت أن أضخم الأسواق تتواجد على الطرق السريعة الـ High Way فقررنا الذهاب أنا ومجموعة من الأصدقاء المصريين والأمريكان ، يوم الأحد . . وإلى هناك حملنا الاوتوبيس ، وهو بالمناسبة ، دائماً خال من الركاب إلا فيما ندر . . السوبر ماركت ينتشر على مساحة واسعة جداً ، وبه العديد من الأسواق المتخصصة والاستراحات والكافيتريات . . وتستطيع أن تقود سيارتك حتى تصل بك إلى السوق الذى تريده بالضبط . . وهناك قضينا يوماً كاملاً . . وفى طريق عودتنا ، اشترينا

لحما وفحما . . وأنهينا اليوم بالشواء فى حديقة البيت الواسعة الجميلة . .

البيت ، كان من عدة طوابق ، وهو أشبه بالأمم المتحدة المصغرة ، ففى الطابق العلوى تسكن بالإيجار عائلة أسبانية (المقصود بها أمريكية لاتينية) ثم شاب إسرائيلى وصديقته الأمريكية ، ثم شاب يونانى طيب يدعى «نيقولاس» يدرس الـ Dry Clean فى أحد المعاهد المتخصصة ، وهو يؤمن إيماناً وثيقاً فى عودة المسيح خلال هذا العام (١٩٩٢) . . وفى يوم من الأيام قال لى إن المسيح الجديد سيصل إلى نيويورك يوم الثلاثاء قادماً من لندن ، وسألنى أن أذهب معه إلى المطار لنكون من الصحابة الأوائل فاعتذرت له لارتباطى بموعد هام . . ويوم الأربعاء صباحاً ، وجدته حزينا كسيفا ، وأخبرنى وهويكاد يبكى أن المسيح المزعوم ، قد اتصل بحوارييه من لندن وأنه سيمكث هناك ثلاثة شهور أخرى . . (ومثل هذه الهرطقات ، كثيرة فى أمريكا ، كما قلت سابقا) . . كانت تسكن معنا أيضا فتاة رومانية ، وسيدة مصرية فاضلة ، كانت تعمل فى مصر مديرة فى وزارة المالية ثم حصلت على الـ Green Card بواسطة أخيها الطبيب الكبير فى «جورجيا» وهى هنا تجهز أوراقا لاستدعاء بناتها . . وبالمناسبة فقد كنت المسلم الوحيد فى هذا البيت وكان كل من فيه إما يهود أو مسيحيون . والحقيقة أننا جميعا ربطت بيننا صداقة وطيدة وحسن عشرة وجيرة . . وبالمناسبة أيضاً فإن الولايات المتحدة تضم أكثر عدد من الأقليات الدينية فى العالم والذين يزداد عددهم كل عام بما يستجد من أديان أرضية تفتقت عنها أذهان البشر . . ورغم ذلك فالجميع يعيش فى حرية كاملة، ويفكرون ويتحدثون ويبشرون بصوت

عال ، ولا تجد واحدا يتصدى لهم ، لا من الشعب المتحضر ، ولا من الحكومة التى تحترم الإرادات والحريات . والجميع يعمل وينتج ويبدع ويعيش وينفق ببذخ . .

. . والمناخ فى نيويورك معتدل وإن كان يميل للبرودة ، ففى فصل الصيف تصل درجة الحرارة العظمى إلى ٣٥ درجة مئوية وفى الشتاء وقبل مغادرتى المدينة (شهر ديسمبر) وصلت درجة الحرارة إلى ٨ درجات تحت الصفر . . وقالوا لى إنها تصل فى يناير إلى ١٨ درجة سالبة . . والمطر غزير جداً فى فصل الصيف ، وينهمر بدون سابق إنذار ويستمر من ساعة إلى ٤ ساعات . . ثم ينقطع فجأة . . وبعد انتهاء المطر تظهر الأرض لامعة وشبه جافة . . فالأسفلت يميل ناحية البالوعات الكبيرة المخصصة لتجميع مياه المطر . . وأثناء هطوله لا تتوقف الحياة . . بل تجد الناس قد فردوا المظلات وارتدوا المعاطف الواقية ، واندفعوا فى الطرقات يؤدون أعمالهم بنفس الحيوية والنشاط .

قررت أنا وصديق أمريكى أن نذهب إلى تمثال الحرية . . كان اليوم قارس البرودة والمياه متجمدة فى الشوارع ، ورغم ذلك فقد كانت تلك هى فرصتى الوحيدة ، إذ أن موعد الرحيل كان قد أزف . . أقلنا مترو الأنفاق إلى طرف مانهاتن ، حيث توجد «مرسى» خاصة بالتمثال . . وهناك نوعان من الرحلات البحرية . . سفينة تلف بك حول الجزيرة المنصوب فوقها التمثال وهذه بـ ٥ دولارات ، وأخرى ترسو بك فوق تلك الجزيرة وهى بـ ١٥ دولاراً (لا شىء فى أمريكا مجاناً) . . اخترنا النوع الأخير فأقلتنا سفينة ضخمة يباع فوقها كل ما يمت بصلة للتمثال

من آثار. . بدءاً من الكارت بوستال وانتهاء بالأشكال البلاستيكية أو المعدنة التى تماثله . . استغرقت الرحلة إلى تلك الجزيرة المتناهية فى الصغر . . حوالى ٤٠ دقيقة . . فى مياه هادئة تتبع المحيط الأطلنطى . . ولا يوجد هناك سوى التمثال الأخضر اللون . . ورغم ذلك فهى تعج بالسياح من كل الدنيا ، جاءوا يشاهدون «أم الدنيا» مرة ثانية عليك أن تختار . . إما القاعدة وإما التاج ، أو هما معاً . . فاخترناهما معاً ولكل سلم مختلف . . وسلم القاعدة الحجرية ينتهى بك أعلاها، حيث ترى أقدام التمثال مثبتة أمامك ، فتلف حولها . . ارتفاع القاعدة حوالى ٢٠ متراً تقريباً . . وتنظر حواليك فتجد نيويورك من ناحية ، «وجيرسى سيتى» من ناحية أخرى و«بنسلفانيا» من ناحية ثالثة ومياه المحيط تفصل بينهم . ولأسفل تجد حديقة الحرية ممتدة فوق الجزيرة . . . ثم نزلنا كى نبدأ من جديد فوق السلم الذى يصعد بك إلى التاج . . كنا طابوراً طويلاً يتحرك ببطء شديد . . فسعة السلم شخص واحد فقط . . وكلنا فى انتظار سعادته حتى ينتهى من المشاهدة «وينبسط» ويقرر النزول ويفسح مكاناً للذى يليه . . وظللنا على هذا المنوال قرابة ساعة . . داخل سلم حلزونى جداً يدور حول عمود من الحديد يمتد من القاعدة إلى القمة وضيق جداً . . وخلال صعودك داخل جسم التمثال . . تتأمل هذا الجسم فإذا به كله من الحديد ويشغل المسافة من السلم إلى حدود الجسم (أو الفستان الحديد) سيقان حديدية متقاطعة، كأنها سقالات . . وكله منار بالكهرباء ومكيف الهواء . . وللحظة انتابتنى فكرة مخيفة . . ماذا لو حدث ماس كهربائى (كما يحدث عندنا

فى مصر . . وننسبه للقضاء والقدر) بينما كل هؤلاء الناس متكدسون ومسكون بالقضبان ؟؟ . . ثم أقلعت عن الفكرة بسرعة ، رحمة بأهاليهم ، وقد وجدت مبرراً للاطمئنان (دى أمريكا يا بابا . . مش أى كلام) . . كلما صعدت إلى أعلى كلما ضاق عليك التمثال بما رحب . . فالصدر أضيق من ذيل الفستان . . والرقبة أضيق من الصدر حتى وصلنا إلى التاج وبه حوالى ٥ نوافذ مسدودة بالزجاج ، مساحة النافذة الوسطى الكبرى حوالى ٥٠ سم × ٥٠ سم . . وأنت تستقر فوق درجة السلم الأخيرة العريضة نسبياً ثم تنظر من تلك النافذة فتلمح نيويورك من بعيد . . أو ترى يد التمثال الحاملة للشعلة عن قرب . . وبس . . التقطنا بعض الصور وقضينا وقتنا فوق هذه السلمة الأخيرة . . بينما الناس بطول السلم ينتظرون على أحر من الجمر . . ثم قررنا أن نفرج عنهم وبدأنا النزول فى سلم على نفس المحور . . السلمان متداخلان . . ولكنك فى هبوطك لا ترى الصاعدين . . ولكن تسمع أصواتهم فقط . . طول التمثال من غير القاعدة حوالى ٤٠ متراً تقريباً . .

وبالمناسبة التمثال شيده المهندس الفرنسى «إيفل» (مصمم برج إيفل الشهير) وحمل إلى أمريكا مفككاً إلى عدة قطع ، أعيد تركيبها ولحامها . .

وبعد عزيزى القارىء فقد كانت تلك مقتطفات من مذكراتى . . أما محتويات هذا الكتاب فهى حصيلة قراءاتى هناك . . وهى الموضوعات التى تشغل بال الأمريكان وتدور على ألسنتهم وفى أسمارهم . . هى قضاياهم وحياتهم . . طموحاتهم وإحباطاتهم . . مباهجهم ومخاوفهم . . وقد حاولت قدر جهدى أن لا أغوص فى موضوع أكاديمى

بعينه ، بل كنت أقطف من كل بستان زهرة . . علها تفيد القارىء ـ أياً ما كانت ثقافته ـ فى أن يكون صورة من قريب عن المجتمع الأمريكى . . من خلال الحديث الدائر فى حاضرته وحاضرة العالم أجمع (نيويورك) وبينما يبدأ الكتاب بموضوعات شديدة الخصوصية عن تركيبة المجتمع الأمريكى . . ينتهى بجولة حرة فى المسرح والسينما ومعارض الفن . . هادفاً التخفيف من لزوجة الموضوعات المثارة ، وترك القارىء فى حالة تعادلية على الأقل .

وأخيراً لكم منى من هناك . . من الأرض الموعودة . . على ضفاف المسيسيبى . . إلى الأرض الطيبة على ضفاف النيل . . ألفين سلام وتحية وإلى لقاء قريب فى رسالة أخرى .

د / محمد هشام عبد العليم الحديدى